المحاضرة الأولى: التاريخ السياسي للجزائر في العهد الفينيقي و الروماني

الأصل بالنسبة لسكان شمال أفريقيا

لطالما كان التاريخ هو تسجيل ووصف وتحليل للأحداث الي جرت في الماضي على أسس علمية، ميزتها الحياد، بهدف الوصول إلى حقائق وقواعد تساعد القارئ والباحث على فهم الحاضر والتحكم في معطياته ومنه بلوغ حد الاستطاعة لما يتعلق الأمر بالتنبؤ بالمستقبل، لذا فإنّ دراسة التاريخ السياسي لأية أمة، دولة أو شعب، قد يعني الاهتمام بقضية محورية ألَا وهي مسألة السُّلطة، حيث ينبغي تحديد أبعادها ورصد طبيعتها عبر الحركة التاريخية، في إطار العلاقة بين الحاكم والمحكوم، لذا من مقياسنا هذا الموسوم بـ: تاريخ الجزائر السياسي، سنعمل على تتبع الأحداث والتطورات التي عرفتها الجزائر فيما يتعلق بشكل السلطة ونماذج الحكم وتصرفات الحكام، منذ القديم إلى غاية بناء الدولة الجزائرية المستقلة وما بعدها لغاية العصر الحديث[1].

1- جغرافيا المنطقة:

"الجزائر" إسم عربي خالص لعاصمة الوطن والدولة، حيث أطلقت هذه التسمية على الوطن ككل خلال العهد العثماني خلال القرن السادس عشر للميلاد، أما قبل ذلك فكانت المنطقة تعرف عند العرب بالمغرب الأوسط لموقع بين المغرب الأقصى (مراكش) والمغرب الأدنى (تونس).

تعتبر الجزائر حلقة من حلقات التجمع البشري في منطقة الشمال الإفريقي، والجزائر هو الاسم الذي أطلق على المنطقة بداية من القرن السادس عشر والذي يؤرخ لبداية التواجد التركي بالجزائر وتونس وليبيا، وعرفت الجزائر بتسميات مختلفة كـ: **نوميديا**، و **إيكسيم**♦، والمغرب الأوسط ...وغيرها من التسميات، تتوسط الجزائر الحالية بلدان المغرب العربي حيث يحدها من الشرق تونس وليبيا من المغرب، المغرب والصحراء الغربية وموريتانيا، بينما يحدها من الجنوب كل من مالي والنيجر، ويحدها شمالًا البحر الأبيض المتوسط[2].

تقع الجزائر في وسط شمال إفريقيا تفصلها عن تونس شرقًا والمملكة المغربية غربًا، حدود اعتبارية أسستها السياسة واختلاف المصالح بين الحكومات التي توالت على حكم هذه الأقطار الثلاثة، أمّا شمالا فيحدها البحر الأبيض المتوسط، كما حددت السياسة أيضًا امتداد السواحل الجزائرية من القالة شرقًا وحتى الغزوات غربًا بطول مقداره 1200 كلم، أمّا جنوب الصحراء فتحدها الصحراء الكبرى، كل ذلك على مساحة قدرها 2381741 كلم^2.

---

[1] الأمين كرواز، «محتويات برنامج المادة العلمية للسداسي الأول»، محاضرات في تاريخ الجزائر السياسي، 2019-2020، ص 01.

♦ كلمة يونيقية تدل على الجمع، وهو إسم مكون من 5 حروف مركب من كلمتين هما أي بمعنى جزيرة وكسم بعنى طائر من طيور البحر وهذا ما يرجح أن التسمية هي جزيرة حمام البحر.

[2] خالد توازي، «محاضرات في تاريخ الجزائر السياسي»، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2020-2021، ص ص 2-3.

في القديم قسمت السياسة هذه الأرض إلى[1]:

-نوميديا في الشرق.

-موريطانيا في الغرب.

-جينوليا في الجنوب.

كما درج على تقسيمها إلى قسمين اثنين التل والصحراء، على أن تكون جبال الأطلس الصحراوي في الفاصل الطبيعي بينهما.

إن الموقع الجغرافي للجزائر في منطقة شمال إفريقيا بامتداده من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى العمق الإفريقي جنوبا، يحدد جوارها الجغرافي جنوبا لمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء، الي تتصل بها الجزائر عبر صحراء شاسعة تمتد في وسط شمال إفريقيا لتغطي حوالي 98 % من مساحة الجزائر الإجمالية في القسم الجنوبي، وقرابة 08 % من مساحة الصحراء الإفريقية الكبرى، وتتصل الصحراء الجزائرية في الجنوب والغرب بالمناطق شبه الجافة في منطقة الساحل (التشاد، النيجر، مالي، والسنغال)، و شرقا بالصحراء المصرية والسودانية. ونظرًا لهذا الاتصال والامتداد الجغرافي للصحراء الجزائرية في عمق الصحراء الإفريقية الكبرى، جعلها جسرًا رابطا بين شمال القارة وساحلها الإفريقي جنوب الصحراء، وجعل الجزائر تشترك في حدودها الجنوبية مع ما يطلق عليه" **منطقة الساحل الإفريقي** "عبر دولة مالي والنيجر بحدود برية يبلغ طولها مع مالي حوالي 9199 كلم، تمتد في منطقة صحراوية مقطوعة بطرق تجارية قديمة، ومع النيجر بمسافة 159 كلم، وتتميز هي الأخرى بطابعها الصحراوي، وتجتازها طرق للتنقل تستخدم من قبل التجار وقوافل الطوارق، وبهذا تعتبر منطقة (الساحل الإفريقي)منطقة فاصلة وواصلة بين فضاءين جيوسياسيين متمايزين ممثلين في إفريقيا الشمالية (البيضاء) التي تنمي إليها الجزائر جغرافيًا، وإفريقيا ما وراء الصحراء (السوداء)، مع الإشارة إلى أن منطقة الساحل الإفريقي فضاءا إقليميا يمتد بين البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وهو يضم جغرافيًا مجموعة من الدول أهمها: السودان، النيجر، تشاد، مالي، موريتانيا، السنغال، ويضاف إليها الحسابات الجيواقتصادية لكل من بوركينافاسو، نيجيريا، جزر الرأس الأخضر، والصحراء الجزائرية[2].

تتوسط الجزائر بلدان المغرب العربي وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، هي الدولة الوحيدة التي ترتبط بحدود جغرافية مع كل بلدان المغرب العربي... موقع الجزائر الاستراتيجي جعلها محل تنافس وأطماع استعمارية عبر التاريخ مما يحتم عليها أن تكون دائمة التأهب[3].

تحتل الجزائر موقعًا هامًا ضمن بلدان الوطن العربي وإفريقيا كما تتوسط بلدان العالم. هذا الموقع جعلها طريق اتصال بين قارات العالم برا، بحرا، وجوا، فهي منطقة عبور إفريقية أوروبية وآسياوية، وملتقى حضارات العالم عبر العصور[1].

---

[1] الأمين كرواز، مرجع سابق، ص 02.

[2] صليحة مماد، «أبعاد أبعاد اهتمام السياسة الخارجية الجزائرية بالدائرة الإفريقية»، ص 04.

[3] بشير سعدوني وآخرون، **الجغرافيا**. الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2007، ص 27.

2- أصل سكان الجزائر:

على العموم، الجزائريون هم من أحفاد الأمازيغ والعرب، ساهمت أيضا عناصر من الفينيقيين والرومان والبيزنطيين والوندال والأتراك، فضلا عن مجموعات إثنية أخرى من إفريقيا جنوب الصحراء وغيرها في تكوين **الشعب الجزائري**.[2]

يتواجد أحفاد اللاجئين الأندلسيين في سكان الجزائر العاصمة والبليدة وتلمسان وغيرها من المدن الساحلية. إضافة إلى ذلك، تحدث أحفادالأرغون والكاستيليون الموريسكيون اللغة الإسبانية حتى أعماق القرن 18، وحتى اللغة الكتالونية كان متحدث بها في نفس الوقت من طرف أحفاد الكتالونيين المورسكيون في بلدة صغيرة من قريش الوادي.

في عام 2008 كان هناك 600,000 إلى مليوني من الأتراك الجزائريين، أحفاد الحكام العثمانيين والجنود والنساء من الطبقة العليا، وغيرهم ممن حكموا المنطقة خلال الحكم العثماني في شمال أفريقيا. وغالبا ما يدعى أحفاد تركيا اليوم كراغلة، وهذا يعني أحفاد العثمانيين والجزائريين.

مما لا شك فيه أن سكان الشمال الإفريقي ينتمون إلى الجنس الأبيض والذي ساهم في وضع الأسس الأولى للحضارة الإنسانية وهذا ما أثبتته الدراسات عبر الاكتشافات الحضرية التي أثبتت أن هيكلا عظميا يرجع تاريخه إلى 450 ألف سنة قبل الميلاد عثر عليه في مدينة معسكر.

أطلق على سكان شمال إفريقيا اسمين أساسيين بربر وأمازيغ:

1- بربر: ويعني حسب المفهومين اليوناني والروماني إنسان أجنبي لا يتكلم اللغة اليونانية وأطلق نفس الاسم على اليونانيين عندما تغلب عليهم الرومان.

2- الأمازيغ: مع انه من الصعب تحديد نسب وأصل البربر لأن معظم الدراسات تتفق على أنهم ينتمون إلى الجنس السامي من أبناء مازيغ بن كنعان بن سام بن نوح وهذا ما يؤكده ابن خلدون في مقدمته فقد أثبت سكان شمال أفريقيا أنهم أصحاب شخصية قوية أمة ترفض الاندماج مع حضارات غيرهم خاصة الحضارات التي استولت على شمال أفريقيا مثل الفينيقيين الرومان؛ الوندال؛ القوط والبيزنطيين.

شَعْبُ الجزائرِ مُسْلِمٌ * وَإِلىَ العُروبةِ يَنتَسِبْ**

مَنْ قَالَ حَادَ عَنَ اَصْلِهِ * أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذبْ**

أَوْ رَامَ إدمَاجًا لَهُ * رَامَ المُحَال من الطَّلَبْ**

هذه الأبيات ضمن قصيدة يحفظها كل الجزائريين منذ نعومة أظافرهم في المقررات الدراسية أو في سائر الفعاليات التي تُقِيمها منظمات المجتمع المدني والجمعيات الدينية والكشافة الجزائرية وغيرها، وصاحب القصيدة هو الإمام الأمازيغي عبد الحميد بن باديس -رحمه الله تعالى- أحد أشهر الأعلام في

---

[1] بشير سعدوني وآخرون، مرجع سابق، ص 35.

[2] متوفر على الرابط: https://bit.ly/3LsuerZ بتاريخ: 2022/09/19.

جزائر القرن العشرين، حيث بدأت تتبلور فكرة الدولة الوطنية، لكننا إذا رجعْنا بالتاريخ مائة عامٍ إلى ما قبل العصر الذي عاش فيه ابن باديس سنجد أنفسنا في أواخر الحكم العثماني لمساحة كبرى جدا من الشمال الأفريقي كانت تضم من أقصى الشرق الليبي (طرابلس الغرب قديمًا) حتى حدود المملكة المغربية والتي لم تكن ضمن حكم دولة آل عثمان للعالم الإسلامي، في تلك الحِقبة كان مواطنو هذه الرقعة الجغرافية ينتمون لخلفية واحدة هي "الدولة الإسلامية" أو "الخلافة" كما يمكن تسميتها بالاصطلاح التاريخي لوصف الدول التي حاولت توحيد المناطق والأقاليم الإسلامية في المشرق والمغرب.[1]

هذا الانتماء هو السائد آنذاك مع أن العِرقيات التي كانت تسكن هذه المناطق هي نفسها الموجودة حاليا: العرق الأمازيغي، والعربي والتركي وغيرها من الأعراق وتقريبًا بنِسب متقاربة بين القديم والحديث إلا أن العنصر التركي إما أن أبناءه هاجروا إلى مواطنهم الأصلية في بلاد الأناضول أو بقوا هنا ليستعملوا اللهجات الدارجة ويكوّنوا فيما بعدُ العنصر الكرغلي، وأما العنصر اليهودي فأغلبهم جرى ترحيلهم بعد تكوين (دولة الاحتلال الصهيوني)♦ على أرض فلسطين إثر السقوط النهائي للدولة العثمانية والإعلان عن وعد بلفور ويليه جرائم العصابات الصهيونية في بلاد الشام آنذاك.

وعلى أي حال؛ بقي التفاعل بين العنصرين العربي والأمازيغي تماما كما كان في الحقبة العثمانية بل وكما كنا نعرفه تاريخيا منذ الفتوحات الإسلامية للشمال الأفريقي في القرن الأول من التقويم الهجري أي منذ نحو 14 قرنًا من الزمن، والعرب الفاتحون حين حملوا رسالة الإسلام لم يفرضوا على السكان الأصليين لغةً أو نمط معيشة معينًا، غير أننا نريد التركيز على أمر مهم في أصل السكان القدامى لشمال أفريقيا عشية الفتح الإسلامي، فالأمازيغ لم يكونوا المكوّن الوحيد لشعوب هذه المنطقة بل كانوا جزءًا ضمن مجموعة أعراق مختلفة جدا من بينها الكنعانيين الذين أسسوا إمبراطورية قرطاج.

يقول المؤرخ الجزائري عثمان سعدي في مقالة له بعنوان (سكان شمال أفريقيا: الأصول الحضارية منشورة بموقع هسبريس Hespress بتاريخ (الأربعاء 26 نوفبر 2014) "لقد حدثت هجرات قحطانية من جنوب الجزيرة العربية قبل آلاف السنين، والذي سجله التاريخ هجرة الكنعانيين الفينيقيين في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد"، ويضيف عن التزاوج الحضاري بين الأمازيغ والكنعانيين: "وأسسوا إمبراطورية قرطاج الذي يعتبر تأسيسها تزاوجا بين الكنعانيين والأمازيغ، فهي إمبراطورية كنعانية أمازيغية، فملحمة حنّا بعل العابرة لجبال الألب ساهم فيها الأمازيغ، فقد كان سلاح الفرسان بجيشه أمازيغيًّا، يقوده الفارس الأمازيغي مهر بعل"، فالعنصر العروبي موجودٌ قبل الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا وحتى قبل ظهور الإسلام في مكة المكرمة وجزيرة العرب[2].

وهذا الأمر يؤكده مجموعة من المؤرخين الأوروبيين أمثال Gabriel Camps في كتاب له بعنوان: "البربر: ذاكرة وهُويَّة"، كما أن اللغة الرسمية التي استمرت قرونًا في الانتشار بين أرجاء هذه الرقعة لم تكن

---

[1] الطيب صياد، « هُويَّة الجزائر والشمال الإفريقي »، متوفر على الرابط: https://bit.ly/3qQZ6sp بتاريخ: 2022/09/20.

♦ الكيان الصهيوني الغاشم. هو الأصح لأنّها ليست دولة بل شتات أفراد وعصابات احتلت أرض فلسطين بالقوة.

[2] المرجع نفسه.

هي الأمازيغية بل كانت اللغة البونيقية أو القرطاجية –وهي مستقاةٌ من الفينيقية– التي لم تندثر إلا عند الاحتلال الروماني وتدميرهم لمدينة قرطاج، وبعدها ظهرت لهجات متأثرة باليونانية وغيرها، والمقصود هو ما يؤكده كثيرٌ من المؤرخين أن ما يسمى اليوم باللغة الأمازيغية لم تكن يومًا لغةَ حضارة أصلا بل كانت لهجات شفوية مختلفة اختلافا شديدا لدرجة أن المتحمسين حاليا للغة الأمازيغية يجدون حرجا كبيرا في ضبط الألفاظ والقواعد فضلا عن تنازعهم في الحرف الذي يكتبون به لغتهم هذه أهو التافيناغ أم الحرف العربي أم اللاتيني الذي يبدو هو الخيار الحتمي بما أن الجهات المتحمِّسة تتلقى دعما كبيرا جدا من الدولة الفرنسية التي تحاول الاستثمار في هذه القضية العِرقية لمزيدٍ من التفتيت والتقسيم في شمال أفريقيا، والجهة التي تسعى لتوطيد هذه اللغة –وهي المحافظة السامية للغة الأمازيغية– تواجه معضلات كبيرة أهمها:[1]

–أن القاعدة الأمازيغية الشعبية لا تتعامل مطلقا مع حرف التافيناغ القومي، وهذا ما يجعلهم وجها لوجه أمام الحرف اللاتيني الذي يمثل إحدى أهم صور الاحتلال الفرنسي لبلدان شمال أفريقيا، وفعلا فالمحافظة السامية للأمازيغية تنشر موقعها باللغة الفرنسية أساسًا ما عدا بعض العبارات المكتوبة بحرف التافيناغ الذي يبدو مادة إشهارية لا تعليمية ولا إعلامية.

–الاختلاف الجوهري الموجود بين اللهجات التي يصفونها بالأمازيغة يجعل من الصعوبة بمكان "خلق" لغة موحدة، فهناك اللهجة القبائلية والشاوية والميزابية والشلحة والتارقية (لغة طوارق الجزائر) فضلا عن لهجات أخرى منتشرة في ليبيا وتونس والمملكة المغربية.

–إلغاء تاريخ كامل من عدة قرونٍ بما يحمله من حضارة وسياسة وحروب وثقافة وديانات لم يُكتب شيءٌ منها بالتافيناغ ولم يكن أصحابها يستعملون في التداول الرسمي هذه اللغة الأمازيغية، وإلغاء التاريخ هو سقطة حضارية لا يمكن للمنصفين القبول بها.

–حصر تاريخ شمال أفريقيا في ثنائية (أمازيغ أصليون – عرب محتلُّون)، وهذا بعيد كل البعد عن الواقع كما قدمتُ آنفًا، فهذه المنطقة غنية جدا بالتنوع العرقي.

–اعتماد الفرنسية لغةً شبه رسمية بين أقطاب هذا التيار يجعلهم عُرضة للنقد من الطبقات الشعبية وحتى النخب والأكاديميين وغيرهم.

–ما يردده مناصرو الأمازيغية من أن العرب عرّبوا سُكَّان المنطقة كما يفعل أي "احتلال" ليس حجة علمية صحيحة، لأن العرب قد انتقلوا إلى مناطق يسكنها الأتراك والفرس والروس والهنود وغيرهم فلماذا لم تتعرَّبْ تلك البلدان ولماذا لم تتعرب الشعوب الفارسية والتركية والهندية وغيرها؟ والتفسير الوحيد هو أن العرب الذين فتحوا شمال أفريقيا لم يصطدموا بلغة مخالفة للسانهم بل وجدوا قبلهم لغة عروبية مشابهة لأصول كلامهم وقواعده وأصواته.

في الأخير؛ هذا ليس دعوةً منا للقول بعروبية شمال أفريقيا بل الإنصاف يقتضي أن ندرك أن هذه الجغرافيا الواسعة لم تكن يومًا مِلْكًا لمجموعة عرقية بعينها، بل كانت مسرحا حضاريا تتمازج فيها حضارات الشرق

---

[1] الطيب صياد، مرجع سابق.

والغرب بكل تفاعلاتها الإيجابية والسلبية، والذي يريد فرض رؤية أحادية على هذه المنطقة لن يبوء إلا بالفشل الذي باءت به فرنسا بكل جيوشها وقواتها طيلة أكثر من 130 سنة من الاحتلال الغاشم، ومع ذلك فهي لا تزال تستغل النزعات العرقية لإحداث انقسام مجتمعي كبير يمكنها من فرض الوصاية من جديد على بلادنا، وكما تسعى فرنسا لدعم القوميين الأمازيغ فقد دعمت ولا تزال تيار القوميين العرب منذ تأسيس النظام على يد الراحل هواري بومدين الذي سار مع تيار التعريب في المشرق وهو تيار حاول طمس كل الثقافات ما عدا الثقافة العربية، ولن يكون هناك من مخرج لهذا الاستقطاب العِرقي إلا القناعة بسياسة الانفتاح والتعايش من دون إقصاء أو استئصال.